التناص أحد قضايا النقد العربي الحديث

بحث مشترك

الباحثة

نبيهة خالد حيدرة

باحثة دكتوراة – جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

الأستاذ الدكتور/ بلقاسم الجطاري

أستاذ النقد الحديث – جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية – الإمارات العربية المتحدة

إصدار يوليو لسنة ٢٠٢٢

شعبة النشر والخدمات المعلوماتية

ملخص البحث

الأدب عالمٌ منفتح، والأديب مبدعٌ يسرح بخياله في كلّ اتّجاه، وهو مثقّفٌ مطّلعٌ، يؤثّر ويتأثّر بالمحيط الأدبيّ، ولذا فهو يتفاعل مع النتاجات الأدبيّة، ويستحضر تجارب الآخرين، ويستطيع بمهاراته أن يُذيب تلك التجارب ويدمجها في عمله الجديد الخاص، لينتج عملًا أدبيًّا مستقلًّا يأخذ من روح ما سبقه، ويتباين بتميّزه، وذاك هو (التناص). ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على هذه القضيّة التي تُعدّ من القضايا المهمّة في النقد الأدبي، وتم تقسيمه إلى مبحثين يعرض المبحث الأول منه مجموعة من التعريفات التي تفسر مفهوم (التناص) الذي اتفقت الآراء على فكرة كونه تعالقًا وتداخلًا بين النصوص، مع توضيح علاقته بمفهوم (النص). كما يتتبع البحث نشأة (التناص) في الأدب العربي، وتأكيد أصوله القديمة فيه، فهو ليس وليد ساعة الأدب العربي الحديث، ولكنّه جاء بمسميات أخرى مختلفة. ثمّ يتقفّى البحث أثر (التناص) عند الغرب بتتبع مجموعة من النقّاد الغرب. وفي المبحث الثاني يعرض البحث أنماط التناص وتقسيماته وبعض آلياته وطرق عملها مفهومها وقوانينها. وأخيرًا، نستنتج أن مصادر التناص متسعه تشمل ما يلم به المبدع أو الشاعر أو المؤلف من تجارب واطلاعات يختزنها في ذاكرته، بمعنى أن ثقافة المبدع هي مصدر رئيسي في تناصه مع من سبقوه. وتقوم الدراسة على المنهج التحليلي، معتمد على مجموعة من الدراسات السابقة.

الكلمات المفتاحيّة: التناص، الاقتباس، التضمين، السرقات الأبية.

المقدمة

رغم حداثة دراسة التناص في النقد الأدبي الحديث إلا أننا عندما ننظر إلى القواميس العربية نجد معانٍ متعددة للنص، ونلاحظ بعض الممارسات النصية في النقد العربي القديم، مثل: السرقات الشعرية والمعارضات، والاحتذاء، والاقتباس، والتضمين، والنقائض، والأخذ وغيرها. لكن هذه المفاهيم درست ضمن حدود بلاغية شكلية، ولم تتطور إلى نظرية شاملة، رغم الوعي والدراية بتداخل النصوص بعضها ببعض.

وتعرف الباحثون العرب على نظرية التناص عن طريق الدراسات الغربية التي ترجمت، وحاول الباحثون تطبيقها على مجموعة من النماذج في الأدب العربي، رغم مبالغة هذه الدراسات الغربية التي أطلقت مجموعة من المفاهيم، مثل قولهم أنّه لا نص بدون تناص، وأنّ كل ما يكتبه المنشئ مأخوذٌ من مادةٍ سابقة.

ويعد التناص من مباحث الإبداع في الأعمال الأدبية؛ إذ يعمل على اكتشاف الجماليات فيها، من حيث تداخل النصوص بعضها مع بعض. وهذا ما سنحاول توضيحه هنا؛ للمس بعض هذه الجماليات من خلال تسليط الضوء على تداخلات النصوص.

المبحث الأول: التناص النشأة والتأصيل

أولا: تعريف التناص:

إن التناص بوصفه ظاهرة إنسانية أدبية ونقدية لمست وعرفت قديمًا من الأدباء والشعراء، فعندما ننظر إلى القواميس العربية نجد معانٍ متعددة (للنص)، والتي تشير في مجملها إلى الرفع والحركة والظهور وأقصى الشيء[١]، حيث جاء في اللسان أن (النص) هو الشيء الذي رفعك، ولم يرد في المعاجم العربية مفهوم واضح للتناص كمصطلح نقدي مرتبط بالأدب والنقد، وأقرب المعاني المذكورة لمفهوم التناص هو إسناد الحديث ورفعة إلى فلان، وذكر ارتباط (النص) بمفهوم التناص، وهذا ما ذكر في مادة (نصص) في لسان العرب،[٢] ويسرد المعجم الوجيز بعض الدلالات التي تولد النص، (النص) هو " نص على الشيء نصًا عينه وحدده ... صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف. والنص: ما لا يحتمل إلا معنى واحداً أو لا يحتمل التأويل"[٣]

وورد (النص) في المعاجم الإنجليزية بمعنى: وثيقة، جسد، كلام، ونسيج.[٤]

وهناك فكرة سائدة وهي التوليد، فالنص يتشابك، ليصنع نصًا جديد يذوب وسط نسيج تصنع فيه وكأنها عنكبوت تذوب في إفرازاتها التي تصنعها لنسيجها.[٥]

يُشتق النص "نص" في اللغات الأجنبية من الاستخدام المجازي في اللاتينية للفعل "نسيج" والذي يعني "يتحرك" " أو أنه ينسج ويقترح سلسلة من الجمل والمقاطع المنسوجة هيكليًا ودلاليًا.

ويتضح مما ورد في القواميس القديمة والحديثة أن المعنى الحديث للنص لم يكن غائبًا تمامًا في المعجم العربي، كما أنه يتقارب مع دلالاته اللاتينية التي تشير إلى

١الزبيدي، مرتضي : تاج العروس، مادة نصص، تح: عبدالكريم الغرياوي ،مطبعة حكومة الكويت– الكويت، ١٩٧٩، ص ١٨–٢٨

٢ ابن منظور: لسان العرب، ط٣،دار إحياء التراث– بيروت،١٩٩٩، ص: ١٦٢–١٤.

٣ المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية –جمهورية مصر العربية، ط١، ١٩٨٠، ص: ٦١٩ مادة "نصّ".

٤. Ducourt, Encyclopedia Dictionary of Language, London, illustrat, 1979, 292

٥ Roland Barthres : le Plaisir du texte , seul 1973 – P 100–101

معنى تحقيق الهدف وإتمامه، وهذا المعنى يجب أن ينتقل إلى النص الأدبي المميز عن النص العادي.[١]

يشير مفهوم التناص إلى أحد أهم المصطلحات العامة المتعلقة بتفاعل النصوص الأدبية مع بعضها البعض، وما يترتب على ذلك من آثار في سياق النصوص الأدبية نفسها، والاقتباسات والإدراج، لكن هذه المصطلحات تخرج عن جوهر التناص الأدبي، حيث يعمل الكتّاب الذين نشأت نصوصهم في إطار هذه المصطلحات على البدء من نصوص محددة من أجل الوصول إلى نصوصهم، وقد يستوعب نص واحد عددًا غير محدود من النصوص الأخرى التي تتقاطع معها، وربما جاء هذا المصطلح النقدي تحت مسميات أخرى في النقد الأدبي، من أهمها: التناص، والنص، والتفاعل النصي وتداخل النصوص.[٢]

وإذا تتبعنا قول النقاد القدماء في موضوع التناص وجدنا بعض الدلالات والمعاني المستخدمة والمتعلقة بقضية التناص، فيقال يسوق البيت أو البيتين على البيت، وفي ذلك اتجاهان: يأخذ المعنى ويسوقه باللفظ الجديد، أو يسوقه باللفظ عينه، وكان للجرجاني نظرة أشمل وأوضح، تنصف الشعراء وقال إنه لا يجد في ذلك سرقة، فالشاعر أجهد نفسه في تتبع الدواوين واتعب خاطره في تحصيل المعاني.٣

وكان الناقد محمد مفتاح من أوائل من استخدم مصطلح التناص بمظهره الصريح، فعمد إلى تعريف مختلف وهو على أنه انسجام نص مع نص (ودخول في علاقة)

---

١ مصطفي، السعدني: التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السرقات منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر،١٩٩١، ص: ٧٣-٧٤

٢ كاك، عبد الفتاح داود: دراسة نقدية في التأصيل لنشأة المصطلح ومقاربته ببعض القضايا النقدية القديمة" دراسة تحليلية"،٢٠١٥، ص:٥

٣ الجرجاني، القاضي علي عبدالعزيز: الوساطة بين المتنبي وخصومه تح: الناشر عيسى البابلي،١٩٠٠، ص١٧٨،١٧٧.

النصوص مع ما سبقها، تختلف الكيفية حسب استخدام الكاتب، فيقول إن الشاعر يمتص الأثر السابق، والتناص مهم لشاعر كالهواء والماء.[1]

ومن تعريفاتها:

التناص عند جوليا كريستيفا: عُرف التناص أو التداخل النصي بأنه تقاطع الملفوظات المختلفة أو تنافيها لتصبح نص معين مقتطع من نصوص غيرها، لذلك وجدت كرستيفا أن أي قول أو اختلاف في الرأي بشيء من التشابه داخل نص هو تقاطع أخذ من نص آخر، وذكرت الناقدة الفرنسية عن هذا المصطلح النقدي في كتابها "Group Theory" وفي كتاب "Semiotic a: Research for Evidence Analysis". التي تم نشرها في عام ١٩٦٩، والتي تتكون من مجموعة من المقالات المكتوبة بين عامي ١٩٦٦ و١٩٦٩.[2]

وعن التناص يقول مايكل ريفاتير: إذا كانت الكلمات في النص تشير إلى أشياء مختلفة على مستوى المحاكاة، فإن هذه الأشياء تشير إلى نصوص أخرى على المستوى السيميائي.

التناص عند لوران جيني: استيعاب العديد من النصوص، وتمثيلها، وتحويلها. حيث يحتفظ بنفس المعنى.[3]

التناص عند جيرار جنيت: أعطي جيرار جنيت للتناص مفهومًا مغايرًا ومختلفًا عن غيره، حيث يشير إلى التناص باعتباره نص متعالي يرتبط بنص آخر، ولكن بطريقة خفية. وسنتطرق له بشيءٍ من التفصيل في مبحث متعاليات النص.[4]

ثانيا: التناص في الأدب العربي:

---

١ مفتاح، محمد: تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، ط١، المركز الثقافي العربي– الدار البيضاء،١٩٨٥،ص:١٢٤–١٢٥

٢ علم النص، جوليا كرستيفا، تد، فريدة الزاهي تد: عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١، ص٢١.

٣ حمدي، أحمد: كتاب التناص وتداخل النصوص والمفهوم والمنهج دراسة فيشعر المتنبي، ط ١، دار المأمون للنشر، الأردن ،٢٠٢١،،ص،١٠

٤ مدخل لجامع النصوص، جيرار جنيت، ند: عبد الرحمن أيوب، دار الشؤون الثقافة العامة، بغداد ،٢٠٠٠، ص٩٠.

لم تكن فكرة تداخل النصوص وترابطها غريبة عن التقاليد العربية القديمة، بل نجد أنها متصلة بحديث القدماء في كثير من المجالس وهو باب متسع لا يدعي الشعراء السلامة منه، فعند الوقوف على المعارضة الشعرية نجد أنها محور مهم لدراسة التناصية[١]

وأدرك العرب القدماء تشابك النصوص، وأخذوا بعضها عن بعض، سواء في الشعر أو النثر يقول كعب بن زهير

ما أرانا نقول إلا رجيعًا *** أو معاداً من لفظنا مكروراً

إذا كان الشطر الثاني من البيت يشير إلى أنّ الشعراء لم يأتوا بالشي المختلف، بل يكررون الموضوعات نفسها، فإن كلمة "معار" في الشطر الأول تتضمن مفهوم التناص، وقد يشير البيت الشعري إلى أن الشاعر عمد إلى أخذ شعر شخص آخر. وهذا ما شعر به زهير بن أبي سلمى، إذ "يشعر أنهم يبدون ويتكررون بنفس الكلمات والمعاني، ويسيرون وفق أسلوب واحد، وهو أسلوب تعاملت به مئات الألسنة بتنقية وصقل. وهذا التداخل أو التفاعل النصي لُمح وتناوله بعض النقاد العرب في الماضي، ومنهم أبو هلال العسكري في قوله: "لا غنى عن أي نوع من القائلين في أخذ معاني من حاضرتهم، والقذف على قوالب من سبقوهم"[٢]، ويستشهد بقول الإمام على رضي الله عنه: "لولا أن الكلام يعاد لنفذ".[٣]

وما يشير أيضًا إلى علم ودراية العرب بمفهوم التناص، ووجود النصوص القديمة مدمجة مع النصوص الجديدة، تلك الطريقة الشهيرة لتعلم أنظمة الشعر، وهي قراءة القصائد

---

[١] بقسي، عبد القادر: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي (دراسة نظرية وتطبيقية)، تق: محمد العمري، افريقيا الشرق– المغرب،٢٠١٠، ص:٤٦ و٥٣

[٢] العسكري، أبو هلال: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح: على البجاوي، محمد إبراهيم، شركة أبناء شريف الانصاري– لبنان، ٢٠١٣، ص:١٧

[٣] المرجع السابق، ص:١٧

العربية وحفظها ثم نسيانها: "أليس هذا تناصًا؟ أم أن هذا ليس حوار النصوص السابقة المجسدة في النص المكتوب الحالي، كما يدعي الحداثيون الغربيون على الأقل؟".[١]

ولكن على الرغم من أن العرب كانوا على دراية بمفهوم التناص، إلا أنهم لم يستخدموا المصطلح بالطريقة الصريحة، بل استخدموا مصطلحات أخرى "في المجال البلاغي (مثل التضمين، والإشارة، والإشارة، والاقتباس ... إلخ)، وفي المجال النقدي (مثل التناقضات والسرقات والمعارضات ... إلخ) وجميعها أقرب قليلاً أو كثيرًا إلى مفهوم (التناص).[٢]

يضيف ماجد الجعافرة: أن مفهوم النص ليس بجديد كل الجدة، ويؤكد أته كان له أصل عربي ولم يكن وليد ساعة النقد العربي الحديث، ويجد أن العرب انتبهوا إليه لكن بغير مسماه، فيقول: "تنبه العرب إلى موضوع التناص حينما أومأوا إلى قضية السرقات، وخصوا بالذكر سرقة المعاني، وسجلوا أنه باب لم يسلم منه أحد، وهذا إقرار منهم بأن النص يتناص مع نصوص كثيرة مهما حاول صاحبه أخذ الحيطة والحذر".[٣]

ولعل الرأي الذي يرقي إلى ما سنتطرق إليه في حديثنا عن التناص هو ما أقرّه ابن خلدون بأن "الشاعر الذي قل حفظه للأبيات لا يعتبر شاعرًا، فهو يعتبره ناظمًا فاشلاً، فهو يرى ألا يصنف الشاعر بشاعر كبير، ولا الأديب بالأديب البارع، إلا بعد الامتلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال".[٤]

---

[١] ينطر كتابة الوساطة بين المتنبي وخصومة، نماذج شعرية متداخله تدل على الدراية بالتناص الشعري قديمًا (مرجع سابق)

[٢] دراسة نقدية " دراسة وصفية تحليلية" لد. عبد الفتاح داود كاك (مرجع سابق)، ص: ٣

[٣] التناص والتلقي، دراسات في الشعر العباسي، ماجد ياسمين جعافرة، دار الكندي للنشر والتوزيع، إربد، ط ١ ،٢٠٠٣، ص١٧.

[٤] فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناص، مجلة علامات في النقد الأدبي، عبد الملك مرتاض، النادي الأدبي، ج١، ١٩٩١، ص:٢٨

ولعل دراسة كاظم جهاد(أدونيس منتحلاً) قد تناولت مفهوم التناص في التحليلات الشعرية، واعتمد كاظم في طروحاته على مجموعة من المفاهيم التي قاربت بين الغربية والعربية، فقد انطلق من مفهوم التناص وفرق بينه وبين الانتحال والسرقة، فالنص من منظوره لا يقتصر فقط على حضور نص من نصوص، بل دليل على مجموعة التحولات التي يمارسها النص على ما تشربه من خطابات مختلفة، وهنا استند على مفهوم الحوارية الباختينية.[١]

ثالثا: التناص عند الغربيين:

تتكون كلمة intertextualité في اللغات الأوروبية مثل الفرنسية، على سبيل المثال، من جزأين، الجزء الأول هو البادئة inter، والتي تشير إلى التبادل، والجزء الثاني textaulité يشير إلى النص أو النصوص، مما يعني أن المصطلح يشير إلى تبادل النصوص أو تداخل النصوص، فقد تعددت الترجمات إلى العربية، مثل: النصوصية، تفاعل النصوص، والبينصوص، والنص الغائب ..... الخ.[٢]

---

[١] أودنيس منتحلاً، دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة يسبقها ما هو التناص، كاظم جهاد، مكتبة مدبولي القاهرة، ط٢،١٩٩٣، ص٣٦

[٢] حمدي، احمد عدنان: التناص وتداخل النصوص المفهوم والمنهج في شعر المتنبي، دار المأمون للنشر والتوزيع، ط١، الأردن، عمان،٢٠١٢. ص، ٨.

أما بالنسبة للمصطلحات، فإن المؤشرات الأولى لمفهوم التناص في الغرب تعود إلى الدراسات المقارنة في الأدب، والتي تناولت علاقات ومدى تأثر وتأثير النصوص في الثقافات المختلفة، أشارت بعض مراجع النقاد إلى بداية الوعي بالمفهوم، كما قال تشكلوفسكي مشيرًا إلى الظاهرة: "كلما سلطت الضوء على حقبة، زاد اقتناعي بأن الصور التي نعتبرها من صنع تم استعارة شاعر من شعراء آخرين".

وانطلقت الباحثة جوليا كريستيفا في بلورة مفهوم التناص بناء على مجموعة من التصورات حول النص، وخاصة عندما حددته بكلمة (إنتاجية)، وهو الباعث لعملية (التوليد)، وتعددت الدلالات فيما يسمى بالتدليل، وتبعا لذلك تميّز كريستيفا بين المستويين في النص الواحد، فيسمى الأول بالظاهر، ويسمى الثاني بالمولد.[١]

ودخل هذا المفهوم إلى نقد مع ميخائيل باختين، الذي أطلق عليه مصطلح "الحوار" أو تعدد الأصوات. طورت كريستيفا مصطلح التناص في عام ١٩٦٩، إذ بدأ الاهتمام بالتناص كآلية وأداة للنهج والتحليل في الازدياد على الصعيد الدولي تحت إشراف ريفاتر في جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة، وبعد ذلك تم تبني مصطلح التناص من قبل معظم الاتجاهات الحرجة.[2]

ويضيف باختين أن على الشاعر (أن يمتلك امتلاكا تاما شخصيا لغته، وأن يقبل مسئوليته الكاملة عن جميع مظاهرها، وأن يخضع تلك المظاهر اللغوية لمقصدة الخاصة، لا لشيء آخر غيرها)، فهو يرى أن كل كلمات الشاعر تعبر عن إحساسه، فلا يكون هناك بُعد بين الكلمات والإحساس، ولا يظهر ذلك إلا بعد غسل اللغة من الآثار السابقة

مع أن باختين لم يتناول أويشرح المصطلح كما ينبغي، ولم يعط العديد من الأمثلة، إلا أنّ نزفيتان تودوروف وضع أراء ترتكز على الحوارية في" كتاب ميخائيل باختين، المبدأ

---

[١] Julia Kristeva: Recherches pour une semanalyse p 219.

[2] ينظر تداخل النصوص المفهوم والمنهج في شعر المتنبي، مرجع سابق، ص:٢٢.

الحواري"، فقد شارك باختين في وضع بصمة مؤثرة مع جوليا كريستيفا دعمت ظهور مصطلح التناص.[1]

التناص عند رولان بارت: لا يعتبر الأدب ممارسة تعبير وانعكاس إنما نسخ ومحاكاة، يقوم التناص عنده في النظر في الكيفية التي يتم بها صنع النص، وأساليب تحليل النص، واشتغل بارت بقضية الدلالة وبالدلالة الحافة، أو ما نسميها الإيحائية، وتهتم بالتفاعل اللغوي والتناصي، ويعتبر رولان بارت أن القارئ هو المنتج الفعلي للنص، فالنص نتيجة لثقافات القارئ المتعددة، تتداخل مع بعضها البعض، ويضيف بارت أن كل نص يمثل تناص، وأنّ النصوص موجودة بمختلف التدرجات، وتظهر نظرية التناص واضحة عند بارت بعزل المؤلف عن النص. [2]

المبحث الثاني: أشكال التناص ومتعالياته وآلياته

أولا: أشكال التناص:

قد يتخذ التناص العديد من الأشكال المختلفة، لذا فإن النصوص تحتضن بعضها البعض بشكل تدريجي أو متنوع، وهذا يؤدي إلى وجود أشكال يمكن أن يتخذها التناص، وهذه الأشكال هي:

---

[1] ٢٥بوجمعة، سارة: جماليات التناص في شعر "محمد جربوعة" مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر– بسكرة ،٢٠١٤ ص: ٢٥،٢٦.

[2] ينظر: هسهسة اللغة، رولان بارت ترجمة منذر عياشي، ط١، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ١٩٩٩، ص: ٣٩،٤٣.

١. التطابق: في هذا الأسلوب تتطابق النصوص في النتائج الوظيفية للنص الأدبي، وفي خصائصه البنيوية، التطابق في اللغة يعني التوافق والمساواة، والتطابق هو الاتفاق، وهو يعني تقنيًا تطابق النصوص من حيث الخصائص الهيكلية والنتائج الوظيفية.

٢. التفاعل: في هذا الأسلوب تحدث حالة من التفاعل بين نص وآخر، فتكيف النص الجديد مع النص الذي تفاعل معه، مع مراعاة الحفاظ على أهداف الكاتب وغاياته في كتابة النص الأدبي. أي النص هو نتيجة تفاعله مع نصوص أخرى مختلفة عنه. يتم تكييفه حسب النص المنقول إليه، مع مراعاة أهداف الكاتب وغاياته. قد يتم اقتباس النص، لكن هدف الكاتب جعله يصوغ من كل هذه النصوص نصًا واحدًا له دلالاته ورسائله الخاصة. مثال على ذلك هو التفاعل بين مسرحية "الحياة حلم" للكاتب الإسباني كالديرون دي لا باركا وقصة "النائم والمستيقظ" في "ألف ليلة وليلة"، وكذلك الكاتب الإنجليزي تشوسر وملحمة "مجلس الطيور" (١٣٨٢) وتأثيرها على ملحمة "منطق الطائر" للكاتب الصوفي الفارسي فريد الدين العطار. (١٢٣٠-١١٤٠)، الذي تأثر أيضًا بكتاب "رسالة الطير" للكاتب العربي أبو حامد الغزالي (١١١١-١٠٥٨).

٣. التداخل: في هذا النمط تحدث حالة من الاختلاط بين النصوص الأدبية، مما يخلق حالة من الارتباط بين النصين المختلطين. إذا لم يحقق التداخل والتدخل اختلاطًا أو تفاعلًا، فإنهما يظلان غريبين عن النص الأصلي، حتى لو كانا متشابهين معه، مما يؤدي إلى إنشاء روابط محدودة بينهما. هناك العديد من نصوص الثقافة العربية القديمة، وكذلك بعض النصوص المعاصرة التي لها فهم خاص للتناص، ضمن ما يعرف بـ "التداخل".

٤. الجوار: أو ما يسمى بنمط المحاذاة، حيث تكون الجمل اللغوية في النصوص الأدبية في حالة من التقارب أو التوازي، بشرط أن يحتفظ كل نص ببنيته ووظائفه وهويته الأدبية. إذا لم تكن هناك روابط وعلاقات بين النصوص، فإن وجود بعضها بجانب

بعضها البعض يصبح مجرد متجاور ومتوازي في الفضاء، مع احتفاظ كل نص بهويته وبنيته ووظيفته.

٥. الاختلاف: أو ما يسمى بطريقة التعقب، وفي هذا النمط توجد بعض التناقضات بين النصوص الأدبية التي تختلف عن بعضها البعض ولا تنتمي إلى نفس النوع الأدبي. وعلى الرغم من أن النقد لم يحل هذه المشكلة، إلا أنه يستشهد بنص أبو العلاء المعري "رسالة الغفران" على تفاعل وانفصال محتمل في الوقت نفسه.[١]

ثانيا: تقسيمات التناص:

إن التناص قائم على قسمين رئيسيين وهما:

١. التناص الخارجي: هو العلاقة بين نص أدبي لاحق ونص أو فقرة من نص سابق أو متزامن، لا ينتمي إلى نص المؤلف نفسه. أي علاقتها بالخريطة الثقافية العامة، سواء

---

[١] ينظر: سواعيدية عائشة: جماليات التناص في شعر أمل دنقل ديوان "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة " أنموذجًا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة محمد بو ضياف بالمسيلة– الجزائر،٢٠١٥. ص: ٣٣–٣٦، وينظر: فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناص، مجلة علامات في النقد الأدبي، عبد الملك مرتاض، النادي الأدبي، ج١، ١٩٩١.

كانت تلك العلاقة علنية، أو خفية، أو شبه مموهة. يحتوي هذا القسم على العديد من المصطلحات النقدية العربية والغربية القديمة أو الحديثة، على النحو التالي:

- التناص الخارجي الظاهر: ويدخل في مفاهيمها الآتي:
  - الاقتباس: وهو إدراج ودمج كلمة أو كلمتين من آية في النّص، أو إدراج آية من آيات القرآن الكريم فيه.
  - التضمين: استعارة أنصاف أبيات من مصدر آخر وإدخالها في النص الجديد ببعض من التغيير والتعديل، وبذلك يكون التضمين. وتعود اكتشافها والإحساس بها تبعًا لثقافة المتلقي.
  - الأخذ الظاهر: يشير إلى أخذ المعنى وحده، أو أخذ المعنى مع كل الكلام أو جزء منه، دون تغيير أو أخذ من التغييرات الواضحة.
  - السرقة الأدبية: هو استعارة نص تم تعديله وتقديمه بطريقة قانونية أقل وضوحًا.
  - الاستشهاد: وهو الحضور الفعلي لنص داخل نص آخر.
- التناص الخفي أو المستتر: يمكن أن يدخل تحتها:
  - التلميح: وهي أن تشير إلى قصة أو قصيدة دون ذكرها بشرط أن تكون الإشارة غامضةً.
  - التناص المذاب: هو مجموعة النصوص التي نجدها بين النص الذي نحن على وشك قراءته، وهي مجموعة النصوص التي نتذكرها من الذاكرة عند قراءة فقرة معينة.
- التناص شبه المستتر: يدخل فيها ما يلي:
  - التلميح: هو نص يظهر في نص آخر بطريقة مستترة مخفية غير ظاهرة، بمعنى أقل وضوحًا وحرفية، وتلمح في الكلام، حيث إن

العقل النشيط فقط يمكنه تقدير واقتناص تلك العلاقة بالكلام الآخر الذي تناص منه.

- الأخذ الخفي: وهو انتقال المعنى وبذلك تخفي الكلمات والحروف وتركز على المضمون، ويتطلب براعه وقدرات عالية، لنقل المعنى من محل ما أخذ إلى معنًى آخر.

٢. التناص الداخلي: هو العلاقة بين نص أدبي لاحق ونص واحد أو أكثر أو فقرة في نص المؤلف نفسه. يشير مصطلح التناص الداخلي إلى جزأين:

- التناص الداخلي (الذاتي): هو العلاقة بين النصوص الأدبية اللاحقة والنصوص أو مقاطع النصوص السابقة والمعاصرة التي هي نتاج المؤلف نفسه.
- التناص الداخلي (الحواري): هو العلاقة بين أجزاء نص واحد لنفس المؤلف.[١]

ثالثا: متعاليات التناص الخمسة:

كما رأينا، شهد مصطلح "التناص" اهتمامًا نقديًا واضحًا، حيث عقدت له مؤتمرات محلية ودولية، واحتل أشهر النقاد الغربيين مكانتهم فيه بتوجهاتهم المختلفة، من البنيويين، والسيميائيين، والتفكيكيين، وظاهراتيين مثل: رولان بارت الذي يؤمن بأنه هناك تناص يستخدمه المؤلف، وتناص آخر يستحضره القارئ، حيث يختلف كل شخص من ناحية فهمه وكتاباته (٣)، وكذا ميشيل ريفيتر، وجاك دريدا، وأومبرتو إيكو، وبول ديكور

١ كتاب التناص وتداخل النصوص المفهوم والمنهج دراسة في شعر المتنبي، (مرجع سابق) ص: ٢٧، ٢٨،٢٩.

وآخرين. على الرغم من أن رائد المصطلح قد تخلى عنه في عام ١٩٨٥، واستبدله بمصطلح آخر وهو "التنقل"؛ لتصحيح الممارسات الخاطئة التي حلت به، إلا أن هذا المصطلح الجديد لم ينتشر كثيرًا في الساحة النقدية. ويتبنى الباحث سعيد يقطين مفهوم "جيرار جنيت" للتناص، ويعتمد عليه في فكرة "transtextualité" من أجل استنتاج الأنواع التالية:

١. المناص: (هي البنية النصية التي تشترك في البنية النصية الأصلية في مقام وسياق محددين، والمجاورة لها، مع الحفاظ على هيكلها الكامل والمستقل، مثل الهوامش والتعليقات والعناوين).
٢. التناص: (إذا كان التفاعل النصي في النوع الأول يأخذ بعد التعالي، فهنا يأخذ بعد التضمين، كما لو أن البنية النصية تتضمن بعض العناصر السردية أو التيمية من هياكل نصية سابقة، ويبدو أنها جزءٌ منه، لكنه يدخل معها في علاقة.
٣. الميتانصية: إنها نوع من المنصات، لكنها تأخذ بعدًا نقديًا بحتًا فيما يتعلق بهيكل نصي طارئ مع نص أصلي.
٤. معمارية النص: أي النوع الأدبي الذي ينتمي إليه النص، لأن التمييز بين الأنواع الأدبية سيوجه آفاق انتظار القراء أثناء عملية القراءة.
٥. التعلق النصي: هو نوع تم اختياره تحديدًا بواسطة جنيت في كتابه أطراس، ويشير إلى كل علاقة تجمع بين جزء من النص والسابق.[١]

واهتمّ جيرار جنيت في النقد الغربي بالعلاقات بين النصوص المتعالية سواء كان هذا الارتباط بينها ظاهرًا أو مخفيًّا، أو ضمنيًّا. ودرس جنيت التعالقات بين النصوص الكلية تحت مصطلح التحويل النصي.١

[١] التناص في الخطاب النقدي والبلاغي (دراسة نظرية وتطبيقية) محمد العمري، عبد القادر بقشي، افريقيا الشرق،٢٠١٠، ص: ٢٢ (مرجع سابق)

رابعا: آليات التناص:

فمن خلال دراسة النص الأدبي بالاعتماد على نظريات التناص تظهر وتتضح مجموعة من آلياته، والطرق التي صاغها، ويقدمها لنا المبدع، سواء كان بوعي منه وإدراك بذلك أو دونه. وقد ذُكرت هذه الآليّات في كتاب حداثة السؤال تحت مسمى القوانين التي تتحكم في العلاقة بين النص الحاضر والنص الغائب، وصاغها بالمسميات التالية: الاجترار، والامتصاص، والتحوير.[٢]

في دراسة مهمة وجادة للناقد الفرنسي الكبير جيني لوران المتمحورة التي قدمها حول استراتيجية النموذج "la forme la de stratégie" عرض بعض مشاكل واضطرابات التناص، ومن بين القضايا المهمة التي عرضها بعض الآليات التي تستند إلى دراسته، ويمكن تلخيص النصوص الشعرية الفرنسية في الأنماط التالية:

١. التشويش: حيث يأخذ الكاتب عن عمد فقرة من نص مخصص، ويتدخل فيها ويتلاعب بإدخال متعمد أو دعاية أو تخيلات.

٢. الإضمار أو القطع: يمارس فيه الكاتب الاقتباس المقطوع أو تقليل الكلام بطريقة تأخذ حرفًا من النص من وجهته الأصلية وتعطيه وجهة أخرى لم يتوقعها القارئ.

٣. التضخيم: وهنا يعمل الكاتب مع عكس الإجراء الذي سبقه بتحويل النص وتشويهه من خلال التطوير فيه، في الاتجاه الذي يريد عناصر دلالية أو مسارد رسمية، وربما كان كامنًا في النص "في البيضة" أو غير موجود فيها على الإطلاق..

---

[١] التناص وتداخل النصوص المفهوم والمنهج دراسة في شعر المتنبي، (مرجع سابق)، ص٣٠

[٢] التناص في شعر الرواد، أحمد ناهم، دار الآفاق العربية، ط١، القاهرة،٢٠٠٧، ص: ٤٣ و٤٧ و٥٥

٤. المبالغة: هو إجراء مشابه جدًا لما سبقه، لكنه لا يقوم على المبالغة "الكمية" في الكلام من أجل التزحزح عن تأثيره، بل إلى المبالغة في معناه والمبالغة فيه نوعًا. لا يدخل فيه، أو يؤدي إلى نتيجة معاكسة كما هو معروف في البلاغة، فالإصرار على الشيء يدفعنا إلى الاعتقاد بنقيضه.[١]

٥. القلب أو العكس: وهي الصيغة الأكثر شيوعًا في التناص، خاصة في المحاكاة الساخرة، بسبب فعل التناقض الذي يتعارض مع الخطاب الأصلي من أطرافه، وعكس الموقف الدرامي، وعكس القيم الرمزية.[٢]

٦. تغيير مستوى المعنى: يتم ذلك عن طريق نقل المعنى إلى مستوى آخر وتحويل الاستعارة إلى وميض أو العكس. يحدث هذا، على سبيل المثال، عندما يأخذ الشاعر الفلسطيني محمود درويش عبارة "تصبحون على خير" اليومية ويحولها إلى "تصبحون على وطن". [٣]ومع تقدم الدراسات اللسانية واللسانية النفسية ظهرت بعض آليات التناص بقسميه التراكمي والتفاعلي، مثل: (التمطيط، والإيجاز) والتمطيط يحصل بالأشكال المختلفة مثل الأنا كرام (الجناس والتصحيف والقلب)، والبار كرام (الكلمة، المحور)[٤]

خامسا: النصوص الدينية والتناص:

حظي القرآن الكريم بعدد كبير من العلاقات النصية، ولا عجب في ذلك فهو المصدر المقدس والأعظم، والأول للمعرفة واللغة، ووفق المنظور الإسلامي يتربع في المركز الأول للغة السليمة؛ لأنه ركن الوحي الأعظم وتأتي بعده السنة المطهرة.

مثال من القرآن (قميص يوسف):

---

[١] كاظم جهاد، اودنيس منتحلا، (مرجع سابق)، ص: ٥٣- ٥٥

[٢] التناص في شعر الرواد: مرجع سابق، ص: ٦٥

[٣] أدونيس منتحلاً، دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة يسبقها ما هو التناص، كاظم جهاد، مكتبة مدبولي القاهرة، ط٢،١٩٩٣، ص٣٦

[٤] تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، (مرجع سابق)، ص: ١٢٥-١٢٦(مرجع سابق).

ويتناص قوله:

كأنَّ كلَّ سؤالٍ في مسامعِهِ قميصُ يوسفَ في أجفانِ يعقوبَ

مع دلالة القميص في قصة يوسف عليه السلام، والذي يملك ثلاث دلالات حافّة به:

الأولى: تشير إلى الحزن والمأساة وابيضاض العينين، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١٨)﴾[1] ..... **﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾**[2]

الثانية: هو دليل على براءة يوسف من تهمة إرادة السوء لأهل العزيز قال الله تعالى: **﴿وشهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧)﴾**[3]

الثالثة: هو علامة الفرحة والسرور وارتداد البصر ليعقوب عليه السلام، قال **تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ﴾....**

إن النص اللاحق يمتص دلالتين من دلالات السابق له، ويضيف له وظيفة مختلفة وجديدة، فنلاحظ دلالة (القميص) في النص اللاحق على مدلول المدح، فدلت العلامة على (الأريحية)، وهي صفة من صفات كافور، فالسرور والفرحة الشديدة شفاء له من الأحزان والهموم، كشفاء قميص يوسف لأجفان يعقوب عليه السلام، وقد يدل على الذم والنقد، فكل سؤال يجعله في غم وضنك كقميص يوسف في أجفان أبيه لما جاؤوا عليه بدم كذب نلاحظ هنا أن الدلالة تحمل وجهين مختلفين

---

[1] سورة يوسف: الآية ١٨

[2] سورة يوسف: من الآية ٨٤

[3] سورة يوسف: من الآيتين ٢٦-٢٧

بين السلب والإيجاب، إذًا هي تمويهية وأغلب أبيات المتنبي في كافور تحتمل الوجهين، فلم يأتِ اختيار القميص عبثًا فقد كان مقصودًا لتعدد دلالته.[1]

الخاتمة:

تناول البحث الحالي مفاهيم التناص ونشأته وتأصيله لنخلص إلى أن مفهوم التناص لم يذكر بشكل صريح وواضح في الكتابات العربية النقدية القديمة، فقد شاب هذا المصطلح بعض خلط وتشويش وتداخل بين مجموعة من المصطلحات مثل دراسة المصادر والسرقات الأدبية والمثاقفة وغيرها، على أنّ ذلك لم يمنع من وجود نقاط التقاء بين هذه المفاهيم، ووجود تلاقي بينها وبين التناص، والتي تنبع من مصدر واحد خارج النص، والذي يهدف إلى أن يكون عنصرًا رئيسيًا لدراسة النص، وكشف أسراره، ولاحظنا أن جميعها تتفق على تعالق النصوص بعضها ببعض، إلى أن ظهرت مصطلحات واضحة

[1] التناص وتداخل النصوص المفهوم والمنهج في شعر المتنبي، (مرجع سابق). ص: ٧٦،٧٧.

عند الغرب، مثل جوليا كريستيفا وباختين وغيرهم، وجميعها تصب في هدف لدراسة النص وتشريحه.

كما تناول البحث مجموعة من آليات التناص، وتقسيماته المختلفة، وظهر مجموعة من النقاد كلٌّ منهم قسمها حسب وظيفته وتواتره، ومدى عمق التناص فيها، فقد تناول الفصل الثاني، أشكال التناص مثل: التطابق والتفاعل والتداخل، وأجد أنها صنفت حسب عمق التناص ونسبته في النص، وذكر أيضًا متعاليات التناص وقسمت إلى خمس متعاليات، اعتمدت على مفهوم جنيت للتناص والتي تدرس بنية النص، وتناول الفصل آليات التناص والتي شملت الطرق والكيفية التي يتبعها المؤلف في التناص في نص من نص سابق، ومن ثم عرض والفصل تقسيمات التناص التي اعتمدت على الوظائف المشتركة في المعنى والصورة بين النصوص؛ ليختم الفصل بمثال عن التناص الشعري مع آيات من القرآن الكريم "الصورة المتناصه في مدح المتنبي لكافور مع قصة يوسف عليه السلام".

المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع العربية:

ابن منظور، **لسان العرب**، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث، بيروت ١٩٩٩.

بارت، رولان **هسهة اللغة** ترجمة منذر عياشي، ط١، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ١٩٩٩.

بقشي، عبد القادر، محمد العمري **التناص في الخطاب النقدي والبلاغي (دراسة نظرية وتطبيقية)** محمد العمري، افريقيا الشرق،٢٠١٠.

بوجمعة، سارة: **جماليات التناص في شعر "محمد جربوعة"** مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر– بسكرة ،٢٠١٤+*

الجرجاني، عبد العزيز، **الوساطة بين المتنبي وخصومة**، الناشر عيسى البابلي، ١٩٠٠.

جهاد، كاظم، **أدونيس، منتحلاً**، دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة يسبقها ماهو التناص، مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٣.

حمدي، عدنان، **كتاب التناص وتداخل النصوص المفهوم والمنهج دراسة في شعر المتنبي**، دار المأمون للنشر، الأردن٢٠١٢.

الزبيدي، مرتضى، تح العرباوي، **تاج العروس**، مادة نصص، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٩.

السعدني، مصطفى، **التناص الشعري قراءة لقضية السرقات**، منشأة المعارف بالإسكندرية١٩٩١.

سواعيدية عائشة: **جماليات التناص في شعر أمل دنقل ديوان "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة " أنموذجًا**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة محمد بو ضياف بالمسيلة– الجزائر،٢٠١٥.

العسكري، أبو هلال: **كتاب الصناعتين الكتابة والشعر**، تح: على البجاوي، محمد إبراهيم، شركة أبناء شريف الانصاري– لبنان، ٢٠١٣

علم النص، جوليا كرستيفا، تد، فريدة الزاهي تد: عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١.

مرتاض عبد الملك، فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناص، **مجلة علامات في النقد الأدبي**، النادي الأدبي، ج١، ١٩٩١.

المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية –جمهورية مصر العربية، ط١، ١٩٨٠، ص: ٦١٩ مادة "نصّ".

مفتاح، محمد، **تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص**، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ١٩٨٥.

ناهم، احمد، **التناص في شعر الرواد**، دار الأفاق العربية، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٧.

المصادر الأجنبية:

Ducourt, Encyclopedia Dictionary of Language, London, illustrat, 1979, 292.

Julia Kristeva: Recherches pour une semanalyse p 219

Roland Barthres : le Plaisir du texte , seul 1973 – P 100-101

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الملخص	٢
مقدمة	٣
المبحث الأول: التناص النشأة والتأصيل	٤
أولا: تعريف التناص	٤
ثانيا: التناص في الأدب العربي	٧

ثالثا: التناص عند الغربيين	٩
المبحث الثاني: أشكال التناص ومتعالياته وآليا	١١
أولا: أشكال التناص	١١
ثانيا: تقسيمات التناص	١٣
ثالثا: متعاليات التناص الخمسة	١٤
رابعا: آليات التناص	١٦
خامسا: النصوص الدينية والتناص	١٨
الخاتمة	٢٠
المصادر والمراجع	٢١